

مفاهيم القرآن

(55) رَبُّكُمْ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) (النازعات: 23 - 25). (قَالَ (لأي فرعون لموسى عليه السلام) لَتَنُ أَتَّخِذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَ لَكَ مِنْ الْمَسْجُوتِينَ) (الشعراء: 29). وقد بلغ به الاستبداد إلى أن يوجد الكبت في المجتمع ويقف دون يقظتهم ووعيهم، بحيث لو لمس فيهم ذلك نكّل بهم وعذّبهم أشدّ العذاب: (قَالَ أَمَأَمَنَتُمْ لَهٗ قَبْلَ أَن ۖ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ رَبَّهُ لَكَابِيرٌ كُومُ الَّذِي عَلَّمَ كُومُ السَّحَرِ فَلَاسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطَّعَنَ أَيْدِي كُومُ وَ أَرْجُلَا كُومُ مِن ۖ خِلَافٍ وَ لَا صُلَاصِلَ بَيْنَ كُومُ أَجْمَعِينَ) (الشعراء: 49). (قَالَ أَمَأَمَنَتُمْ لَهٗ قَبْلَ أَن ۖ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ رَبَّهُ لَكَابِيرٌ كُومُ الَّذِي عَلَّمَ كُومُ السَّحَرِ فَلَاقُطَّعَنَ أَيْدِي كُومُ وَ أَرْجُلَا كُومُ مِن ۖ خِلَافٍ وَ لَا صُلَاصِلَ بَيْنَ كُومُ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيْسُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَ أَبْقَى) (طه: 71). إن الحاكم الاستبدادي؛ لا يتحمل حركات التوعية والإصلاح، ولذلك يتهم أصحابها بكلّ تهمة كما فعل فرعون بالنسبة لموسى - عليه السلام - ودعوته الإلهية المباركة حيث اتّهمه فرعون وأخاه بأنّه يطلب الزعامة: (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْلَمَ مَا بِنَا وَ جَدُّنَا عَلَآيِهِمْ آبَاءَنَا وَ تَكُونُ لَكُمَا الْكِبَرِيَاءُ فِى الْأَرْضِ وَ مَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) (يونس: 78). بل ينفر الناس عن أولئك المصلحين، وأصحاب الرسالات بأنّهم يريدون إشقاء الناس وخداعهم وتضليلهم: (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى * قَالَ: أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى) (طه: 56-57). (قَالُوا ۖ إِنَّ هَٰذَا نِ لَسَاحِرَآنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَا كُومُ مِن ۖ أَرْضَكُومُ بِسِحْرِهِمَا) (طه: 63). وربّما يصوّر للناس وضعهم الأسود البائس تصويراً جميلاً ويلقّٰنهم بأنّ ما هم فيه من طريقة، هي الطريقة المثلى كما يقول ذلك عن لسان فرعون وملائته: (إِنَّ هَٰذَا نِ لَسَاحِرَآنِ يُرِيدَانِ . . . وَيَذَّهَبَا بِطَرَفَيْكَ كُومُ الْمَثَلَتِ) (طه: 63). وقد يبلغ الاستبداد بالحاكم المستبدّ حداً يجعله يتوسّل بكلّ وسيلة للحفاظ على عرشه حتّى ادّعاء التديّن، والتستّر به، ونصب نفسه حامياً لحياض الدين مع أنّّه يريد في قرارة نفسه -؛ هدم الدين والقضاء عليه من جذوره، وربّما يتّهم من يريد إرشاد